# خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٢٥م

في مسجد مبارك، إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد تناولت في الخطبة الماضية بعض جوانب سيرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونجد في الكتب أن من خصاله الحميدة أنه كان شغوفا بخدمة الخلق وإطعام الفقراء. كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم، يستعينون به فيما يأتيهم، وكانت له بمكة مجالس ضيافة ويقيم فيها ولائم كثيرة، وكان يُعدّ في المجتمع الجاهلي من أشراف قريش ومن خيارهم وكرامهم، وكان الناس يستعينون به فيما نابهم، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد.

وقد ورد عنه أن أبا بكر كان رحيمًا ومشفقا على الفقراء والمساكين، فكان يشتري أقمشة القطيفة في الشتاء ويوزعها على المحتاجين.

واشترى في أحد الأعوام قطائف دافئة أُتي بها من البادية، ففرقها على أرامل أهل المدينة في الشتاء.

وفي رواية أنه قبل أن ينتخب خليفة كان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه، فكان يحلب لهم كالمعتاد، فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغي لك أو أصرح، فربما قالت: أرغ، وربما قالت: صرح، فأي ذلك قالت فعل، فمكث كذلك يقدم هذه الخدمة ستة أشهر في أيام الخلافة ثم استقر في المدينة.

كان له بيتان أحدهما خارج المدينة حيث كان يقيم عادة في حياة النبي ﷺ إلا أن رسول الله ﷺ كان قد بنى له بيتا قرب المسجد النبوي وبيوته، وإضافة إلى ذلك كان له بيت آخر أيضا في المدينة، لكنه كان يقيم عادة في بيته في ضاحية المدينة في حياة النبي ﷺ وبعد أن انتخب خليفة انتقل إلى المدينة، وما لم ينتقل إلى المدينة قد أنجز مهمة الحلب دون انقطاع.

كان عمر بن الخطاب يتعهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة، فقال عمر أنت هو لعمري. أي الذي يسبقه في الحسنات لا غير فلن يكون غير أبي بكر ﷺ.

في رواية حدثنا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ (أي ينبغي أن يأخذ الناسُ الفقراء إلى بيوتهم وليُطعموهم) وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشَرَةٍ قَالَ فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي فَلَا أَدْرِي قَالَ وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتْ الْعِشَاءُ ثُمَّ رَجَعَ (أي أخذ معه الضيوف ثم جاء إلى النبي ﷺ ولبث عنده وتعشى عنده) فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ بَعْدَمَا مَضَى مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ. قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ أَوْ قَالَتْ ضَيْفِكَ؟ قَالَ أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قَالَتْ أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عُرِضُوا فَأَبَوْا. قَالَ فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ فَقَالَ يَا غُنْثَرُ (ووبّخني توبيخا شديدا) وَقَالَ للضيوف: كُلُوا أما بالنسبة له فقال: واللهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا وَايْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا قَالَ يَعْنِي حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا قَالَتْ لَا وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَّاتٍ فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ يَعْنِي يَمِينَهُ (أي كان الشيطان قد دفعني إلى اليمين بأني لن آكله، فلما رأى البركة قال سآكله.) ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلُ فَفَرَّقَنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ أَوْ كَمَا قَالَ. (فهكذا بارك الله في طعام سيدنا أبي بكر ﷺ)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَا بِسَائِلٍ يَسْأَلُ فَوَجَدْتُ كِسْرَةَ خُبْزٍ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ:

كان عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ أيضا أهلا بالخلافة وقال الناس أيضا إن طبعه ألين من عمر ﷺ وهو ليس أقل كفاءة من عمر، لذا يجب أن يكون هو الخليفة بعدك، ولكن أبا بكر ﷺ اختار عمر ﷺ ليتولى الخلافة، وذلك على الرغم من الخلاف بين طبيعة عمر وأبي بكر رضي الله عنهما. إذن، لم يستفد أبو بكر ﷺ من الخلافة على المستوى الشخصي بل كان يرى أن الفضل يكمن في خدمة الخلق فقط.

لقد روى الصوفية (يقول المصلح الموعود ﷺ: الله أعلم بمدى صدق الرواية) أن عمر ﷺ سأل خادم أبي بكر ﷺ بعد وفاته: ما هي الأعمال الصالحة التي كان يكسبها سيدُك لأكسبها أنا أيضا. فذكر الخادم من جملة الأعمال أن أبا بكر ﷺ كان يذهب بالخبز إلى جانب كذا، وكان يأمرني أن أقف في مكان بينما كان يواصل الطريق إلى الأمام، ولا يسعني أن أقول ماذا كان هدفه من ذهابه إلى هناك. فذهب عمر ﷺ بالطعام إلى الجانب الذي أشار إليه الخادم، ورأى هنالك شخصا ضريرا معاقا مبتور الأطراف جالسا في مغارة. جعل عمر ﷺ لقمة في فم الشخص المعاق فبكى وقال: رحم الله أبا بكر، كم كان إنسانا بارًّا! قال عمر ﷺ: كيف علمتَ أن أبا بكر ﷺ مات؟ قال: ليس في فمي أسنان فكان أبو بكر يمضغ اللقمة قبل أن يضعها في فمي. أما اليوم فقد تلقيتُ لقمة قاسية فخطر ببالي أن الذي أطعمني هذه اللقمة ليس أبا بكر بل هو غيره. وإضافة إلى ذلك لم ينقطع أبو بكر قط، أما الآن فلما حصل الانقطاع، فتوجستُ أنه ليس موجودا في هذا العالم حتما.

يقول المصلح الموعود ﷺ: إذن، ماذا استفاد أبو بكر ﷺ من الـــحُكم؟ لم يستفد شيئا من الخلافة أو الملك الذي تولاه. هل عدّ أموال الحكومة أموالَه؟ أو هل عدّ أملاكا حكومية مِلكا له؟ كلا، بل كل ما حصل عليه أقاربه كان من أملاكه الشخصية. (خطب محمود، مجلد ١٧، ص٤٩٤-٤٩٥) إنما الميزة التي كان يتميز بها هي الخدمة التي قام بها بجدارة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن للشريعة جزأين فقط، أحدهما حق الله والثاني حق العباد. فما هو حق الله؟ إنما هو أن نعبده ولا نشرك في عبادته أحدًا، وننصرف إلى ذكره على الدوام، ونستجيب لأوامره ونمتنع عما نهانا عنه، ونجتنب ما حرَّمه علينا وغير ذلك من الأمور.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن للشريعة جزأين؛ هما حق الله وحق العبادة، انظروا إلى النبي ﷺ كيف قضى حياته في الخدمات، ثم انظروا إلى علي ﷺ كان قد رُقع قميصه لدرجة لم يبق منه مكان، وكان

أبو بكر ﷺ من دأبه أن يطعم عجوزا حلوى كل يوم بانتظام لدرجة قالت تلك العجوز يوم توفي أبو بكر بأنه قد مات اليوم. فسألها الجيران هل تلقيت إلهاما أو وحيا، فقال لا بل لم يأت اليوم بحلوى فعرفت أنه مات، أي كان من المستحيل ألا يحضر الحلوى في حياته، فانظروا ما أروع الخدمة، وكذلك يجب على كل واحد أن يخدم الخلق.

كيف كان مستواه لستر الناس، فهناك رواية بهذا الخصوص أن أبا بكر ﷺ كان يقول: لو أخذت سارقا لأحببت أن يستره الله. (الطبقات الكبرى، لابن سعد)

أما شجاعة أبي بكر وبسالته فقد ورد عنها: كان أبو بكر ذا شجاعة وبسالة متجسدة، وما كان يبالي بأشد الأخطار أيضا في سبيل الإسلام وبسبب حبه للنبي ﷺ. وفي فترة العيش في مكة أيضا كلما رأى ﷺ أي خطر أو ما من شأنه أن يسبب إيذاء للنبي ﷺ تصدى له وقام بحمايته ﷺ ونصرته بكل ما في وسعه. وفي أثناء فترة الأسْر والحصار الممتدة على ثلاث سنين في شعب أبي طالب وقف مع النبي ﷺ بكل ثبات ورباطة الجأش. كذلك نال شرف رفقة النبي ﷺ ومعيته في الهجرة مع أن الظروف كانت تهدد بالخطر على حياته. لم يكتف أبو بكر بالاشتراك فقط في الغزوات كلها بل أدّى واجب حماية النبي ﷺ أيضا. وبالنظر إلى شجاعته ﷺ وبسالته سأل عليٌّ ﷺ الناسَ ذات مرة: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

عندما انتشرت شائعة استشهاد النبي ﷺ في غزوة أُحد كان أبو بكر ﷺ أول من وصل إليه ﷺ شاقا طريقه من بين زحام الناس. قيل إن أحد عشر من الصحابة فقط كانوا مع النبي ﷺ حينذاك بمن فيهم: أبو بكر، وسعد وطلحة والزبير وأبو دجانة ﷺ. كما كان أبو بكر ضمن حفنة من المخلصين الذين عيّنوا على الجبل لحماية النبي ﷺ يوم أُحد.

كان ﷺ مع النبي ﷺ في غزوة الخندق وكان ممن نقلوا التراب في الثياب أثناء حفر الخندق. كان بطبيعة الحال ضمن المبايعين المخلصين والمضحين بحياتهم بمناسبة صلح الحديبية. وعندما كُتبت معاهدة الصلح ضرب أبو بكر مثلا أعلى لقوة الإيمان والصمود والفراسة وطاعة النبي ﷺ وحبه لدرجة لم ينسَه عمر ﷺ مدى حياته.

وقد اشترك ﷺ في غزوة الطائف أيضا مع ابنه عبد الله الذي كان شابا يومذاك وقُتل في هذه الغزوة. وعندما خرج رسول الله ﷺ لغزوة تبوك مع جيش قوامه ثلاثون ألف جندي، عيّن أكثر من قائد وأعطاهم رايات. وقد أُعطي أبو بكر ﷺ أكبر راية بهذه المناسبة.

عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات، وعلينا مرة أبو بكر، ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

لا نظير للشجاعة والبسالة اللتين أبداهما سيدنا أبو بكر ﷺ عندما ارتدت معظم الجزيرة العربية بعد وفاة النبي ﷺ. وقد سبق ذكرها المفصل في بعض الخطب السابقة.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن: ذات مرة خنق الكافرون النبي ﷺ برداء خنقًا شديدًا، ولما علم أبو بكر ﷺ بذلك أتى مسرعًا ودفع عنه الكافرين وقال لهم: ألا تخافون الله تعالى؟ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله و لم يطلب منكم مالا ولا عقارا، فلماذا تكادون تقتلونه؟

يقول الصحابة بأننا كنا نحسب أبا بكر أشجعنا في زمننا. كان العدو يزعم أنه لو قتل محمدا رسول الله لقُضي على الإسلام. وقد رأينا أن أبا بكر ﷺ كان يقف مع النبي ﷺ دائما ليتصدى لكل من يهاجمه. عندما التقى جيش المسلمين بالكفار يوم بدر استشار الصحابة فيما بينهم وبنوا للنبي ﷺ عريشا والتمسوا منه أن يدخله ويدعو لانتصارهم. وقالوا: سنحارب العدو بأنفسنا، ونؤكد لك أننا مخلصون، ولكن الموجودين في المدينة أكثر منا إخلاصا وأمانة ولكنهم لم يعرفوا أنه ستكون هناك حرب ضد الكفار وإلا لاشتركوا فيها حتما. فيا رسول الله! إن هُزمنا في الحرب لا سمح الله، فها قد هيأنا لك ناقة سريعة السير وتركنا أبا بكر معك إذ لم نجد أكثر منه شجاعة من بيننا. فاركبْ يا رسول الله الناقة مع أبي بكر فورا واذهب إلى المدينة، وعُدْ لمواجهة العدو مع جيش آخر سيكونون أكثر إخلاصا ووفاء لك منا. يمكن أن تعرفوا من هذا البيان مدى تقديم أبي بكر ﷺ التضحيات. (خطب محمود، مجلد٣٩، ص٢١٩-٢٢١)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في مكان آخر:

ذات مرة سأل بعض الناسِ الصحابةَ: مَن كان أشجعكم في عهد الرسول ﷺ فكما يثار هذا السؤال في هذه الأيام بين الشيعة والسنة كثيرا، كذلك كان الناس عندها أيضًا يكيلون الثناء والمدح لمن ينحازون له. فقال الصحابة: كان أشجعنا، أقرَبنا من الرسول ﷺ موقعًا في القتال. والحق أن هذا الأمر لا يستوعبه إلا الخبير بالقتال؛ ذلك أن العدو يسعى دائمًا للقضاء على روح الأمة وقائدها حتى تنتهي

القضية بانتهائه، ولذلك يكثّف هجومه حيث قائد العدو، فلا يتثبت حوله إلا أشجع القوم (تفسير الخازن، تفسير سورة التوبة). ثم أخبر الصحابةُ أن أبا بكر كان أكثرنا وقوفًا بجانب النبي ﷺ، لذلك فهو أشجعنا.

ثم يقول ﷺ: يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان تفسير الآية الثانية من سورة الإسراء:

جدير بالانتباه أن قوله تعالى ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ يشير إلى أن عبد الله هذا لم يخرج في هذه الرحلة الليلية بخياره، بل الله نفسه قد سيّره. وهذا بالضبط ما حدث في الهجرة أيضًا حين خرج النبي ﷺ من مكة تحت ستار الليل، و لم يغادرها برغبته، وإنما اضطر للخروج منها حين حاصر الكفار بيته لاغتياله. إذن فلم تكن الهجرة برغبته ﷺ بل إن المشيئة الإلهية هي التي دفعته للهجرة.

ثم كما أن جبريل صاحَبَ النبيَّ ﷺ في إسرائه إلى القدس، كذلك رافق أبو بكر الرسولَ ﷺ أثناء الهجرة، وكان متفانيًا في طاعته كما يطيع جبريل أوامر الله تعالى. وكلمة جبريل تعني "بطلُ اللهِ"، وكذلك كان أبو بكر عبدًا مختارًا لله تعالى، وبطلاً مغوارًا في سبيل دينه.

يقول المصلح الموعود ﷺ في مكان آخر:

الحق أن القنوط لا يتطرق إلى قلب الإنسان إذا كان مؤمنا بكلام الله تعالى. هل كان ممكنا أن يبقى بصيص الأمل بعدَ ما واجهه رسول الله ﷺ في غار ثور. معلوم أن النبي ﷺ خرج تاركا بيته في ظلام الليل واختفى في غار ثور الذي كانت فوهته واسعة جدا، وكان بإمكان كل إنسان أن يطِلّ بداخله ويقفز فيه. كان مع النبي ﷺ رفيق واحد وهما بغير سلاح ولا حول لهما ولا قوة. بينما وصل أهل مكة مسلّحين إلى غار ثور، وأصرّ بعضهم أن علينا أن ننظر داخل الغار لنتمكن من البطش إذا كان فيه أحد. فبكى أبو بكر ﷺ نظرا إلى اقتراب العدو من الغار، وقال: يا رسول الله لقد أصبح العدو يطلّ على رؤوسنا. فقال ﷺ بحماس شديد: لا تحزن إن الله معنا. انظروا الآن، لقد واجه النبي ﷺ ظروفا كانت الأكثر إثارة للقلق، وهل كان هناك أي شك في قتل النبي ﷺ أو القبض عليه بعد هذا الحادث؟ ولكن مع أن العدو كان قويا، وكان معه جنود وأسلحة بينما كان النبي أعزل تماما وموجودا في الغار مع رفيق واحد، لا سلاح عنده ولا دعما من الحكومة ولا جماعة معه. وعلى الرغم من رؤية العدو بعدد كبير ماثلا أمامه قال: لا تحزن إن الله معنا. لماذا تقول يا أبا بكر إن العدو قوي؟ هل هو أقوى من الله؟ فما دام الله تعالى معنا فلماذا نقلق ونحزن؟ علما أن قلق أبي بكر ﷺ لم يكن من أجل نفسه، بل من أجل النبي ﷺ.

يقدم بعض الشيعة هذا الحادث ويقولون إن أبا بكر كان عديم الإيمان والعياذ بالله، فخاف التضحية بحياته، مع أنه قد ورد في كتب التاريخ بكل وضوح أنه عندما قال النبي ﷺ: "لا تحزن إن الله معنا"، قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله لا أخاف على نفسي لأنه لو قُتلتُ أنا لقُتل شخص واحد فقط، بل أخاف عليك لأنه لو لحق بك ضرر لانمحى الحق من وجه الأرض. (خطب محمود مجلد ٢٨، ص٤١٦-٤١٧)

ويقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضا: هذا الأمر ليس خاصا بالأنبياء فقط بل يوجد دون الأنبياء أيضا في كل زمان أناس قاموا بما لم يكن ممكنا لغيرهم قط. خذوا سيدنا أبا بكر ﷺ مثلا، هل كان لأحد أن يقول بأنه سيقود قومه في وقت من الأوقات؟ كان يُظَن بوجه عام أنه كان ذو طبع ضعيف وقلب رقيق ويحب الصلح في كل الأحوال. ثم انظروا إلى زمن النبي ﷺ سترون أنه ﷺ لم يعيّن أبا بكر ﷺ قائد جيشٍ في أي حرب مهمة، وإن كان قد أُمِّر على بعض الغزوات الصغيرة، أما في الحروب الكبيرة فقد عُيِّن غيره قادة دائما. كما لم يُكلَّف حتى بتعليم القرآن الكريم وأمور القضاء وما شابهها أيضا. ولكن النبي ﷺ كان يعلم جيدا أنه عندما سيأتي عهد أبي بكر ﷺ لن يقدر غيره على إنجاز ما سينجزه هو. فلما مات رسول الله ﷺ حدث الخلاف بين المسلمين على من سيتولى الخلافة. وفي ذلك الوقت لم يخطر ببال أبي بكر أيضا أنه سيكون خليفة بل كان يرى أن الأجدر بالخلافة هو عمر ﷺ أو غيره. فثار الأنصار وأرادوا أن يكون الخليفة منهم، لأنهم كانوا يظنون أنهم قدموا التضحيات من أجل الإسلام، لذا فالخلافة حق لهم، بينما المهاجرون كانوا يقولون إن الخليفة يجب أن يكون منهم. باختصار، قد اندلع شجار إثر وفاة النبي ﷺ حيث كان الأنصار يقولون إن الخليفة يجب أن يكون منهم والمهاجرون كانوا يقولون إن الخليفة يجب أن يكون منهم، وأخيرا صدر الاقتراح من الأنصار لحسم النزاع أن يكون خليفة من الأنصار وخليفة من المهاجرين، وللقضاء على النزاع عُقد اجتماع. يقول سيدنا عمر ﷺ في ذلك الوقت خطر ببالي أنه صحيح أن أبا بكر صالح وتقي لكن حسم هذه القضية ليس من عمله، وإذا كان أحد يقدر على حل هذه القضية فهو أنا حصرا. لأن هذه المهمة تقتضي القوة وليس الرفق والحب. فبدأتُ أفكر في استخراج الأدلة التي تثبت أن الخليفة يجب أن يكون من قريش، أما الفكرة بأن يكون خليفةٌ من الأنصار وخليفة من المهاجرين فخاطئة تماما. قال قد فكرتُ في أدلة كثيرة ثم توجهت إلى مجلس أقيم للبت في القضية، وكان أبو بكر يرافقني وأردت أن ألقي كلمة وأُطلع الناس على الأدلة التي جمعتُها وأُقنعهم بها، وكنت أظن أن أبا بكر لا يملك هيبة

وشوكة تمكِّنه من الخطاب في هذا المجلس. لكنني حين أردت أن أقوم ضربني سيدنا أبو بكر بغضب وقال لي إجلسْ ثم قام وبدأ الخطاب، فبيَّن والله جميع الأدلة التي كنت جمعتُها، وأضاف إليها أخرى كثيرة، حتى اقتنع الأنصار وسلَّموا بمبدأ المهاجرين في الخلافة.

فكان أبو بكر الرجل نفسه الذي قال عنه عمر ﷺ أنه ذات يوم قدَّ قميصه في السوق على نزاع، وأراد أن يضربه، وكان أبو بكر الرجل نفسه الذي كان يقول عنه النبي ﷺ كثيرا إنه رقيق القلب، لكنه حين آن أوانُ وفاة النبي ﷺ قال للسيدة عائشة رضي الله عنها: يخطر ببالي كثيرا أن أقول للناس أن يجعلوا أبا بكر خليفة بعدي، ثم أمتنع لأن قلبي يعرف أن الله ﷻ والمؤمنين سيأبَون إلا أن يجعلوا أبا بكر خليفةً. فهذا ما حدث حصراً وانتُخب خليفة. كان حضرته رقيقَ القلب لطيفَ الطبع لدرجة تقدم عمر ذات يوم ليضربه في السوق ومزق ثيابه، لكن أبا بكر اللطيف ورقيق القلب نفسه قد أتى عليه زمن جاءه فيه سيدُنا عمر وقال له إن العرب كلهم معارضون وتُقام الصلاة جماعةً في مكة والمدينة وفي قرية صغيرة أخرى فقط، وصحيح أن بقية الناس يصلُّون لكنهم لسبب الخلاف المتفاقم لا يريدون أن يصلي بعضهم خلف بعض ولا يريدون أن يسمعوا لأحد، والعرب الجهلة الذين أسلموا قبل خمسة أو ستة أشهر فقط يريدون أن يعفى عنهم الزكاة، فهم لا يدركون أهمية الزكاة فما الضير إذا أعفيتَهم عنها لسنة أو سنتين؟ فعمر الذي كان دومًا يمسك السيف بيده في حال صدور تصرُّف غير لائق بسيط من أحدهم، كان يستأذن النبيَّ ﷺ في قطع عنقه، قد ارتعب من هؤلاء الناس وفزع كثيرا وجاء إلى أبي بكر ﷺ وطلب منه أن يعفي الزكاة عن هؤلاء الجهلة لمدة من الزمن، ويمكن أن نفهم لهم الأمر تدريجا (أي قال عمر ينبغي ألا يُسأل المتمردون ولا يؤخذ منهم الزكاة لسنتين وبعد ذلك سنُفهمهم). لكن أبا بكر الذي كان رقيق القلب لدرجة يقول عمر ﷺ أنه ذات يوم تقدَّم إليه ليضربه ومزق ثيابه، فقد نظر إلى عمر بمنتهى الغضب وقال له يا عمر، هل تطلب مني أمراً لم يعمله الله ورسوله. فقال له سيدنا عمر هذا صحيح لكنهم حديثو العهد، وجيش العدو قد وصل إلى أسوار المدينة، فهل من الأفضل أن يتقدم هؤلاء ويعيثوا في المدينة فسادا، وتحدث الفرقةُ في المدينة، أم يمكن أن نعفي عنهم الزكاة لسنة أو سنتين؟ (أي إما أن نواجه التشرذم أو نتصالح كيفما أمكن) فقال له سيدنا أبو بكر إذا اقتحم العدوُّ المدينة وقتلَ المسلمين في شوارع المدينة وجرَّت الكلاب جثث المسلمات، فلن أعفيهم من الزكاة. والله إذا كانوا يؤدون قطعة حبل في حياة النبي ﷺ زكاةً فسوف آخذها منهم. ثم قال يا عمر إذا كنتم تخافون فانصرفوا عني، سوف أقاتلهم وحدي، حتى يكفُّوا عن

فتنتهم، فاندلع القتال وانتصر أبو بكر ﷺ وتمكن من إخضاع العرب كلهم له قبل وفاته. باختصار إن الإنجاز الذي أحرزه سيدنا أبو بكر ﷺ في حياته كان من نصيبه هو فقط و لم يكن أحد آخر يقدر على ذلك. (خطب محمود مجلد ٣٠)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: كان زعماء مكة حائزين على عزة وعظمة كبيرتين حيث كان الناس –نظرا إلى ذلك– يخافون الحديث أمامهم، كما كانت لهم أيادي على الناس بكثرة ولذلك لم يكن يقدر أحد على أن يرفع إليهم نظره، وهذه العظمة تتبين مما حدث في الحديبية، إذ إن الممثل الذي كان أرسله أهلُ مكة للتفاوض مع رسول الله ﷺ لمس بيده لحيةَ النبي ﷺ أثناء تبادل الحديث، فحين لاحظ ذلك أحدُ الصحابة ضربَه بمقبض سيفه بقوة وقال له لا تلمس لحية النبي ﷺ بيدك النجسة. فرفع نظره ليرى من ذا الذي ضربه بمقبض سيفه، فلما كان الصحابة يرتدون خوذات ولا تُرى إلا عيونهم، فنظر الرجل إلى الصحابي برهة ثم سأله أأنت فلان؟ فقال نعم، فقال له ألا تعرف أني خلَّصت عائلتك من مصيبة في يوم كذا، وأني أحسنت إليك يوم كذا؟ فهل تتكلم أمامي هكذا؟ قال المصلح الموعود ﷺ: الآن قد شاع في الناس نكرانُ الجميل كثيرا، بحيث ينسى الرجل صباحا مَن أحسن إليه ليلا، ويقول هل أبقى له خادما طوال الحياة، فلا يتحمل أن يقدِّر المنة مدة ليلة واحدة ناهيك عن حياة كاملة، لكن خصلة تقدير المنة في العرب كانت قد بلغت القمة. فالوضع كان حساسا جدا، ومع ذلك حين ذكر ذلك الزعيمُ أياديه على ذلك الصحابي خضعت عيناه خجلا، وتنحَّى. فاستأنف الزعيمُ الحديث مع النبي ﷺ وقال له: أنا أبو العرب، وأتوسل إليك أن تصون كرامة قومك، فهؤلاء الذين اجتمعوا حولك، سينفضُّون عنك عند حلول المصيبة فورا، ولن ينفعك إلا قومُك، فلماذا إذن تُذل قومك. أنا أبو العرب فاقبل ما أقول لك، وارجع دون العمرة كما أقول لك. وخلال قوله هذا لمس بيده مرة أخرى لحيتَه المباركة تأكيدا على كلامه، وكان ذلك التماسا منه لكي يقبل النبيُّ ﷺ كلامَه، لكن لما كان في ذلك نوعٌ من الاحتقار أيضا لذا لم يتحمله الصحابة، وما أن لمس بيده لحيتَه المباركة ضرب على يده شخصٌ آخر وقال له لا تمدَّ يدك النجسة إلى لحية النبي ﷺ المباركة، فرفع نظره من جديد وإمعان ليعرف من هذا الرجل الذي نهاه، وأخيرا حين عرفه أغضى عينيه، فعرفه الرجل الذي جاء ممثلا للكفار، فغض بصره وقال هذا أبو بكر، ثم قال يا أبا بكر إني أعلم أنه ليس لي منة عليك. فكانت العرب أمةً تحسن إلى الناس بكثرة حيث كانت لذلك الزعيم منةٌ على كل واحد

من الأنصار والمهاجرين، إلا أبا بكر ﷺ، فلم يجرؤ أحد منهم على أن يكفَّ يدَه إلا أبو بكر، إذ كان هو الوحيد الذي لم تكن عليه منة لذلك الزعيم.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في مكان آخر: الزكاة ركن مهم جدا من أركان الإسلام، فمن لا يدفعها يخرج من الإسلام. بعد وفاة النبي ﷺ وفي عهد سيدنا أبي بكر ﷺ لما رفض بعض الناس دفع الزكاة وقالوا إن قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ كان خاصا بالنبيّ ﷺ فقط، فما دام قد مات، فمن ذا الذي يستطيع أن يأخذ منا الزكاة بعده. لم يفهم أولئك السفهاء أن الذي هو خليفة لمحمد رسول الله ﷺ هو الذي سيأخذ الزكاة منهم، إلا أنهم بسبب جهالتهم قالوا إنهم لن يدفعوا الزكاة.

فمن ناحية رفض هؤلاء أداء الزكاة، ومن ناحية أخرى ظهر الفساد وارتدت كل العرب تقريبا، وظهر كثير من المتنبئين، وبدا وكأن الإسلام سيندثر الآن –والعياذ بالله–. وفي تلك الأوضاع الحرجة جدا قال الصحابة لسيدنا أبي بكر ﷺ أن يرفق بمنكري الزكاة مؤقتا. وقال سيدنا عمر الذي يقال أنه كان شجاعا جدا: مهما كنت شجاعا إلا أن شجاعتي لا تبلغ شجاعة أبي بكر لأنني أيضا قلت لأبي بكر في تلك الساعة الحرجة أن يعامل منكري الزكاة برفق، إذ يجب أن يُخضع الكفار أولاً ثم يمكن إصلاحُهم فيما بعد؟ لكن أبا بكر ﷺ قال: ما كان لابن أبي قحافة أن يلغي الأمر الذي أمر به النبيُّ ﷺ، وسأقاتلهم ما لم يدفعوا الزكاة كاملة، وما لم يدفعوا عقال بعير كانوا يؤدونه في حياة النبي ﷺ. عندها علِم الصحابة مدى شجاعةِ وبسالةِ مَن يجعله الله خليفةً. وبالفعل أخضعهم سيدنا أبو بكر في نهاية المطاف، و لم يتركهم حتى أخذ منهم الزكاة.

أما عن التضحية المالية التي قام بها سيدنا أبو بكر ﷺ فقد كتب أحد الكتّاب: لما آمن سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ كان بحوزته مبلغ كبير من المال يبلغ أربعين ألف درهم، وهذا بالطبع إضافةً إلى أموال التجارة والممتلكات الأخرى. بل ورد في رواية أنه كان يملك مليون درهم نقدًا، فأنفق في مكة آلاف الدراهم منها لمساعدة عامة المسلمين عموما وكفالة فقراء المسلمين خاصة، وحين هاجر كانت معه خمسةٌ أو ستة آلاف من الدراهم.

وفي رواية أنه ظل يوفّر هذا المال لحاجات النبي ﷺ وأخذه معه عند الهجرة إلى المدينة، وسدَّ به نفقات سفر الهجرة، كما دفع به نفقات سفر هجرة بعض أهل بيت النبي ﷺ، كما اشترى به قطعة أرض للمسلمين في المدينة.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ، قال سيدنا عمر ﷺ: خطر ببالي في إحدى مناسبات الجهاد أن أبا بكر ﷺ يسبقني دائما وسوف أسبقه اليوم، فذهبتُ إلى بيتي وأخرجت نصف مالي وجئت به إلى النبي ﷺ -وكان ذلك الزمن زمنا عصيبا على الإسلام- ولكن أبا بكر ﷺ جاء بكل ماله.

وكتب سيدنا المصلح الموعود في موضع آخر: لقد جاء سيدنا أبو بكر ﷺ بكل ما عنده حتى أثاث بيته بما فيه الألحفة والأسرة أيضا، وقدمه للنبي ﷺ. فسأله النبي ﷺ: ماذا تركت في البيت يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله. قال عمر ﷺ: لما سمعت ذلك خجلت خجلا شديدا وقلت لقد حاولت اليوم جاهدا أن أسبق أبا بكر ﷺ ولكنه سبقني اليوم أيضا.

قال حضرة المصلح الموعود: قد يقول قائل هنا: ما دام أبو بكر ﷺ قد جاء بكل ما عنده فماذا ترك لأهله؟ فليكن معلوما هنا أن المراد من كل ما عنده هو كل ما ادخره في بيته من مال وغيره. كان ﷺ تاجرا و لم يأت بماله الذي كان مستثمرا في التجارة و لم يبِعْ منزله أيضا، بل جاء بما في بيته من مال وأثاث.

يقول المصلح الموعود ﷺ: تتضح من هذه الواقعة ميزتان لأبي بكر؛ الأولى أنه سبق الجميع في التضحية المالية، والثانية أنه مع جلبه جلّ ماله وصل إلى النبي ﷺ قبل الجميع، أما الذين قدّموا أقل منه فظلوا يفكرون فيما يتركونه في البيت وما يأتون به. ومع كل ذلك لم يردْ في أي مكان أن أبا بكر اعترض على الآخرين فيما فعلوا. (لقد جاء بكل ما عنده، ولكنه لم يقل انظروا قد جئتُ بكل ما أملك، ولكن الآخرين لم يأتوا بكل ما عندهم). ومع هذه التضحية العظيمة كان أبو بكر ﷺ يرى أنه لا يزال مدينًا لله تعالى وأنه لم يمنّ على الله بما فعل، إنما هي منة الله عليه أنه قد وفّقه لهذا الإنفاق.

(فحضرة المصلح الموعود يبين أن على الذين يقدمون التضحيات المالية أن يفحصوا أنفسهم، ولا يكونوا كالمنافقين الذين لا يتبرعون، وإذا تبرعوا قليلا من المال بدأوا في الطعن في الآخرين قائلين انظروا إن فلانا تبرع قليلا وفلانا لم يتبرع بشيء)

قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: كان الصحابة قومًا أطهارًا لدرجة إن القرآن الكريم حافل بالثناء عليهم. فهل أنتم مثلهم؟ ما دام الله تعالى يقول: سيكون مع المسيح الموعود قوم يكونون أمثال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان الصحابة قوما ضحوا بأموالهم وأوطانهم في سبيل الله تعالى، وتخلوا عن كل شيء. لا شك أنكم قد سمعتم كثيرًا القصة الشهيرة لسيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه؛ فذات مرةٍ أُمر الناس بالإنفاق في سبيل الله، فجاء بكل ما في بيته، ولما سأله النبي ﷺ: ماذا تركت في البيت، قال: اللهَ ورسولَه. لقد كان رضي الله عنه من رؤساء مكة، ومع ذلك اكتفى من اللباس برداء من الصوف كالفقراء. كأنما هؤلاء القوم تفانوا في سبيل الله. وقد قيل لهم: إن الجنة تحت ظلال السيوف.

ثم يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: انظروا إلى الصحابة رضي الله عنهم، فعندما جاء وقت الاختبار قدّم كل واحد منهم جُلَّ ما يملكه. وجاء أبو بكر رضي الله عنه قبْل الآخرين ملتفًّا ببطانية فقط، (أي جاء بكل ما يملك مرتديا بطانية فقط). وما أروعَ ما جزاه الله به، حيث صار أوّلَ خليفة.

إنما قصدي من كل هذا الكلام أن أبين أنه لا ينفع في سبيل الفوز بالكمال الحقيقي والخير والبركة والمتعة الروحانية إلا المال الذي يُنفَق في سبيل الله تعالى.

والباقي فيما بعد إن شاء الله تعالى.